

فن تقديم الأحاديث المعرفية (المحاضرة والندوة والحوار والمناظرة)

مبارك حسين نجم الصين

جامعة السودان العلوم والتكنولوجيا - كلية اللغات

المستخلص:

يعد الكلام من أهم عناصر الاتصال اللغوي لأنه يمكن الفرد من التعبير عمّا في نفسه، خاصة أن معظم أنشطة الحياة- جادة وهائلة- تعتمد عليه أخذاً وإعطاءً .

يعد الكلام من أهم العناصر الأساسية في تقديم المعرفة في أي صورة من صورها محاضرةً أو حواراً أو مناظرةً أو غير ذلك ؛ ولهذا كان من الضروري معرفة فن تقديم الأحاديث المعرفية وعرضها. وهذا يستلزم عدة أوجه بيانها في هذا المبحث.

Abstract:

Speech is one of the most important means of communication. It enables people express themselves in all serious or humorous situations of life. It is also used to introduce knowledge in lectures, debates, dialogues and so on. Thus, this study attempts to present the art of verbal communication.

المقدمة:

الكلام واحد من أهم مهارات اللغة ، وله دور عظيم في حياة الإنسان عملاً وعلماً وعبادةً وتواصلًا ، وفق حاجات الإنسان ورغائبه . ولما كانت حياة الإنسان حافلة بالأنشطة المتعددة ، وأنّ هذه الأنشطة يصحبها تفكير وكلام أخذاً وإعطاءً كان الكلام منقسماً إلى صور وأشكال متعددة بتعدد ما تحمله من المضامين والمعاني والمطالب والحاجات . **ومن صور الكلام وأشكاله ما يلي:**

أ- نثر الحياة اليومية.

ب- النثر الفني كالقصص والأحاديث والأمثال والروايات.

ج- النثر الذي تؤدي به العبادات والطاعات .

د- النثر العلمي ويشمل المحاضرات ، والندوات، والمناظرات ، والحوار، والخطب، والمناقشات، والجدل. ومما ذكر من صور الكلام وأشكاله تركّز هذه الدراسة على بعض من النثر العلمي خاصة: المحاضرات والندوات والمناظرات والحوار ، وفي تركيزها على هذه الصور والقوالب من النثر العلمي تهتم بفن تقديم هذه الصور والقوالب مما يسمى الأحاديث المعرفية .

سميت المحاضرات والندوات والمناظرات والحوار أحاديث معرفية لأنها دائماً تسعى لتحقيق هدف معرفي كالتعليم والتوجيه ، والتنوير ، والوعظ ، والإرشاد ، والتنقيف ، والترغيب والترهيب .

ولما كانت هذه الأحاديث المعرفية ذات أثر عظيم في تقديم المعرفة أيّاً كان نوعها فإن فن تقديم هذه الأحاديث المعرفية مما يهتم لفيها من المختصين في حقول معرفية مختلفة كل منهم يسعى لأن يكون تقديمه جاذباً وممتعاً ومفيداً ومحققاً لما أعد من أهداف .

تلك الجاذبية وذلك الإمتاع لا يمكن أن يتحقق ما لم يكن المتحدث أو مقدم الحديث المعرفي ملماً بفن التقديم والإلقاء مدركاً لأهمية الكلام، عارفاً مكوناته وعناصره إضافة لمقتضياته من مقامات، وسياقات. ولما كان الكلام دالاً على صاحبه - من حيث العلم أو الجهل، ومن حيث الحلم أو السفه، ومن حيث الكياسة أو العجز، ومن حيث الإيمان أو الكفر، ومن حيث التواضع أو الكبر- وجب أن يكون له هدف وأن يلم المتكلم بعناصر تأليفه مع مراعاة مستوى السامعين علماً وعقلاً، إضافة للقدرة على استخدام الصوت في تلوين الكلام وتوصيل مضامينه مما يدخل في فن تقديم الكلام وإلقائه.

ولما كان الكلام (التكلم) واحداً من مهارات اللغة وفنونها التعبيرية، بل من أهم تلك الفنون التعبيرية فإن بيان مفهومه، وأنواعه، وصوره، وطرق تقديمه يقتضي بيان مفهوم اللغة وتوضيح علاقته بها باعتباره مهارة تعبيرية قائمة على المشافهة والنطق، وتستلزم مستمعاً، وتسعى لتحقيق هدف؛ لذا تستصحب هذه الدراسة بيان مفهوم اللغة وإيضاح أبعادها لتدلف من ذلك في بيان الكلام وكيفية تقديمه وفتيات تقديمه.

الأهداف:

1. توضيح أن مهارة الكلام من أهم عناصر الاتصال اللغوي.
2. بيان أن التواصل بين المتكلم والمستمع يمكن في تحديد الهدف من الحديث المعرفي.
3. توضيح أن تقديم الأحاديث المعرفية فن وعلم يحتاج لتدريب ويخضع للمران.

مفهوم اللغة والكلام :

إذا كانت اللغة (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)^(١)، فإن هذا التعريف يشمل أربعة عناصر هي:

- الأصوات .
- المعاني.
- التعبير .
- كيفية التعبير .

ويعطي التعريف أيضاً عدداً من الأبعاد الدالة على حقيقة اللغة منها:

- البعد الاجتماعي .
- البعد الصوتي .
- البعد الرمزي .
- البعد النظامي .

وكل ما يلف هذه الأبعاد ويدخل تلك العناصر واصل بواشجة إلى قضية التعبير والبيان والإبانة مما أشار إليه الله (سبحانه وتعالى) في قوله: M H G I J K L M N^(٢)، فالبيان نعمة من الحق (سبحانه وتعالى) على الإنسان والبيان في مجمل المعنى هو القدرة على الإفصاح والتعبير عن مكنون النفس

(١) الخصائص، ابن جنبي، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، عام ١٣٧١هـ - ١٩٥٠م، ج١، ص٣٣.

(٢) سورة الرحمن، الآيات ١، ٢، ٣ .

ومخزون العقل، ومدلول الحس أخذاً وإعطاءً في جدل الحياة القائم على التعارف مصداقاً لقوله تعالى: E M

.^(٣) [IO N ML K J I H G F

وقد حصر الجاحظ^(٤) وسائل البيان في خمس هي:

- اللفظ (الكلام المنطوق)
- الخط (الكتابة).
- الإشارة.
- الحال.
- العقد.

ومن أهم هذه الوسائل الخمس اللفظ، واللفظ هو الكلام المنطوق المترجم عنه بالأصوات وسمي لفظاً لخروجه من الملافظ وهي أطراف الفم وفي هذا يقول ابن مالك^(٥):

كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثم حرف الكلم

وقد يُعبر عن الكلام المنطوق بالحديث فيقال حدثنا فلان أى أخبرنا، ومنه حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم). والأحاديث هي الأخبار والكلام وفي الحديث الشريف قوله (صلى الله عليه وسلم): (كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع)^(٦) ومنه قوله (صلى الله عليه وسلم) أيضاً في علامات المنافق (إذا حدّث كذب..)^(٧).

إن الحديث هو الإخبار والتكلم مشافهة بما علم المرء أو سمع، أو رأى^(٨)، وهو بهذا المفهوم مطابق للتكلم المعبر عنه بالكلام، والكلام واحد من أهم مهارات اللغة الأربع وهي:

- الاستماع.
- التكلم.
- الكتابة.
- القراءة.

وإذا كان التكلم (الكلام) مهارة للتواصل والتعبير عن المخزون المعرفي والوجداني لدى الإنسان فإنه دال على صاحبه دلالة قاطعة^(٩)، من حيث الهوية والعلم أو الجهل، والعقل أو السفه، والحُبّ، أو الكره وهلم جرّاً. ولما كان الكلام بهذا المستوى من الأهمية قالوا: تكلموا تعرفوا، وقال بعض الحكماء: المرء مخبوء تحت لسانه أي أن الإنسان يظل لغزاً ما لم يتكلم فإذا تكلم عرف السامعون هويته ومقدار عقله، ومدى علمه أو

(٣) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

(٢) البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تبويب علي أبي ملح ، دار مكتبة الهلال ، القاهرة ، ط١ ، عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ ، ج١ ، ص٨٢ .

(٥) الألفية ، بن مالك الجباني ، دار السلام للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط٢ عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٣م ص١٦ .

(٤) رياض الصالحين ، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي ، دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، د.ت ، ص٣٩٣ .

(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٨٢ .

(٦) المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الغيومى المقرئ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١ ، عام ١٩٨٧م ، مادة (حدث) ص٤٨.

(٧) علل اللسان وأمراض اللغة، محمد كشاش ، المكتبة العصرية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، ص١٦ .

جهله والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والمهنة التي يحترفها، ولهذا قالوا اللسان ترجمان الجنان وفي مثل هذا يقول زهير بن أبي سلمى:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم^(١)

وقال الآخر:

إنَّ الكلام لفي الفؤاد وإنما
جعل اللسان على الفؤاد دليلاً^(٢)

فالإنسان يعبر عما في نفسه من الأثواق والرغائب والحاجات بحديثه أي بكلامه المنطوق. ويعبر أيضاً عما في عقله وضميره من العلم والمعرفة والحكمة أو الجهل والغباء والحمق بلسانه أي بكلامه المنطوق الذي نسميه الحديث.

وقد عرفت الأمم منذ القدم خطورة الكلام وأهميته فأولته اهتمامها ولهذا اهتم الإغريق بفن الخطابة كما اهتم به العرب في الجاهلية والإسلام. وفن الخطابة نوع من الحديث الشفاهي الهادف إلى التعليم أو الوعظ، أو الإرشاد أو التهديد، أو التخويف، أو الإقناع وما إلى ذلك، ونسبة لأهمية الحديث أو الكلام في التأثير والتأثر، والتعليم والتعلم، كان الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم)، أفصح الناس في أقوالهم وأقدرهم على تصريف الكلام.

فالنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: (أنا أفصح العرب) ويقول (صلى الله عليه وسلم) أيضاً (أنا محمد النبي - ثلاث مرات - ولا نبي بعدي، وأوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه...^(٣)) ومن وصاياه (صلى الله عليه وسلم): (خاطبوا الناس على قدر عقولهم)^(٤) ومما أثر عنه: (لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموهم ولا تحرموا منها أهلها فتظلموها)^(٥).

وعلى ضوء ما تقدم ينبغي للعاقل أن ينتبه لأسلوب كلامه وحسن اختياره ألفاظه والاحتراز من زلله لأن الكلام المنطوق لا يمكن استرجاع بوارده ولا يقدر على رد شوارده، فكم من متكلم أفضيت أسرارته من دون قصد منه أو سبق إصرار ولم يبق إلا أن نقول: اللسان عنوان الإنسان يترجم عن مجهوله ويبرهن على محصوله فلزم أن يكون بتهديب ألفاظه حرياً وبتقويم لسانه ملياً، ويمكن القول: إن أي خلل يطرأ على اللسان ينعكس على الإنسان فكراً وانفعالاً وسلوكاً والعكس بالعكس فكل خلل فكري ينعكس على لسان الإنسان ومسلكه اللغوي ولهذا قالوا التعبير السليم دال على فكر سليم، والمنفصم هو الذي يفكر بلسان ويعبر بلسان آخر ما لم يكن ترجمان ينقل المعاني والمضامين من ألفاظ لغة إلى ألفاظ لغة أخرى.

ولارتباط اللغة بالذات الإنسانية والهوية الحضارية كانت معبرة عن الفكر ديناً وخلقاً وعلماً وأدباً ولم تكن للعلم والأدب من وسيلة لنقله وتعليمه وتلقيه إلا اللغة مجسدة في مهارتي التكلم والكتابة.

(٢) شرح المعلقات السبع، القزويني، المكتبة التوفيقية القاهرة، ط ١، د.ت، معلقة زهير بن أبي سلمى، ص ٨٢.

(٣) ديوان الأختل، الأختل، عناية انطوان صلحاني اليسوعي، دار المشرق، بيروت- لبنان، ط ٢، د.ت، ص ٥٠٨.

(٤) المسند، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، د.ت، ج ٢، ص ١٧٢.

(٥) جواهر البلاغة، أحمد السيد الهاشمي، ضبط يوسف العميلي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط ١، عام ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣، مقدمة الضابط والمدقق، ص ٨.

(١٤) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، مرجع سابق، ج ١، ص ٩٢، ٩٣.

والتكلم سابق الكتابة في أصل طبيعة الخلق وفي طبيعة التعلم وإن كانت كل واحدة من هاتين المهارتين صناعة يتفاوت الناس في حذقها وإتقانها.

ونسبة لهذه الأهمية وجب إتقان مهارة الحديث (الكلام) خاصة في مجال الإعلام والتعليم والإرشاد والتوجيه والإدارة والقضاء وهكذا.

كيفية تأليف الكلام :

إذا تحدّث الشخص فإنه يخرج من دائرة الصمت والفردية إلى دائرة التعبير أو التخاطب الشفهي متواصلاً مع أفراد مجتمعه معبراً عن حاجة أو رغبة أو دالاً على فكرة أو مفهوم أو معلومة وغيرها وهو في هذه الحال إنما يؤلف كلاماً ليبدل على مضمون أو ينقل رسالة. ومما سبق نعلم أن الكلام يشمل عنصرين أساسيين هما:

- المعاني والمضامين.
- التراكيب اللفظية.

فعند التعبير عن المعاني والمضامين يعتمد المتكلم لتأليف الجمل والتراكيب اللفظية المعبرة عن تلك المعاني والمضامين وفي هذه الحال يراعي المتكلم المستوي الصوابي للكلام من حيث الضوابط صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة.

فعلى المستوى الصوتي ينبغي أن يراعي الأصوات المكونة للمفردات من حيث طبيعتها وسماتها أي من حيث مخارجها وصفاتها المميزة لها، وأن تكون خالية من التناثر والتخليط كأن تأتي الباء في العربية شفوية انفجارية مجهورة والناء من بين الأسنان احتكاكية مهموسة وهكذا.

ومن حيث المستوى الصرفي يراعي صوغ الكلمات ؛ أوزانها وتصريفها المختلف مما تقرر عند العارفين، فاسم الفاعل مثلاً له وزنه المعين من الفعل الثلاثي وله هيئته المقدره من الأوزان الأخرى والتصغير والنسب لهما قواعدهما الخاصة طبقاً لبناء الكلمات وصور تركيبها^(١٥).

ومن حيث المستوى المعجمي يراعي المتكلم اختيار الكلمات ذات المعاني الواضحة الدالة على مقصوده ، وأن تكون تلك الكلمات بعيدة عن الغرابة والحوشية والسوقية والابتذال أي تكون مأنوسة مألوفة جارية على السنة الفصحاء والبلغاء مما يقبله الذوق العام^(١٦).

أما المستوى النحوي فهو أن يراعي المتكلم أو المتحدث تأليف الكلام ونظمه من حيث قواعد التأليف من موقعية لعناصره لربط بينها من غير تعقيد لفظي أو معنوي مراعاة لتراتب الألفاظ في كينونة الجمل مثلاً: الفعل أولاً والفاعل ثانياً والمفعول ثالثاً ما لم تكن هناك ضرورة سياقية أو بلاغية . والصفة تتبع الموصوف وتطابقه من حيث العدد، والتذكير والتأنيث، والمضاف إليه يتلو المضاف من غير فصل ولا قطع ما لم تدع ضرورة سياقية أو بلاغية للفصل بينهما، وهكذا .

(١٥) شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي، المكتبة الثقافية، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م ، ص ١٩ ، ٢٩ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٢ ، ١١٣ .

(١٦) جواهر البلاغة ، أحمد السيد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص ٢٠ ، ٢١ .

وبهذا يتحقق المستوى الصوابي أو ما سماه علماء العربية الفصاحة فإذا تحقق هذا الكلام وفق الأسلوب المناسب من حيث القدرة على التعبير اختياراً للمستوى من حيث الإيجاز والإطناب أو المساواة والتقديم والتأخير والحذف والإضمار والذكر وما إلى ذلك ، وهذا ما يرشح الكلام للوفاء بأغراض الرسالة ومقاصدها على أكمل وجه إذا طابق المقام الاجتماعي الذي يناسبه وعندئذ يتحقق للكلام أو الحديث العنصر الثالث المتمم وهو ما يسميه البلاغيون المقام^(٣)، وهم الذين قالوا لكل مقام مقال لأن الكلام مهما كان جيد التأليف منضبط القواعد والقوانين لا قيمة له إذا انعزل عن سياقه ومقتضى حاله فهو حينئذ ضرب من الضوضاء التي تزعج ولا تفيد ونوع من اللغو الخالي من الفائدة والمنفعة.

إذن لا يكفي بحال أن يأتي الكلام صحيحاً، من حيث اللغة أي التأليف والنظم بل لا بد له من مراعاة ما يلفه من ظروف ومناسبات خارجية تحيله أداة تواصل إنساني ووسيلة تفاعل مؤثر بين المرسل والمستقبل.

المقامات اللغوية الاجتماعية للكلام: المقامات اللغوية الاجتماعية كثيرة يستعصي حصرها ولكنها جميعاً تنفق في الإطار العام الذي يحدد طبيعتها وعناصرها تلك العناصر التي تستند إليها المقامات الاجتماعية للكلام هي:
أ/ المتكلم أو المتحدث، ويشترط فيه كثير من الشروط لأداء الرسالة الكلامية منها:

- تحديد هدف الكلام.
- الإلمام بموضوع الكلام.
- الخلو من العيوب النفسية والفسلوجية المانعة من الإبانة والإفصاح.
- الثقة بالنفس اقتداراً على الاندماج مع السامعين وابتعاداً عن التعالي والكبرياء.
- وضوح الصوت والقدرة على تلوين الكلام نبراً وتنغيماً، ارتفاعاً وانخفاضاً في الصوت توافقاً مع المعاني^(٤).

- مراعاة مستوى السامعين تعليمياً وثقافةً وتوجهاً وميولاً.
- استخدام وسيلة الإفصاح المناسبة من حيث التكلفة وتوفير الوقت.

ب/ **السامع:** وهو المستقبل، ويعد عنصراً مهماً في الرسالة الكلامية لأن الكلام من غير سامع أو مستقبل يعد ضرباً من الجنون والهذر واللغو الفارغ ويشترط في السامع كثير من الشروط منها:

- الانتباه والإنصات.
- التجرد من الآراء المسبقة عن المتكلم.
- التعالي على الانطباع السلبي تجاه المتكلم من حيث المظهر بزةً وصورةً وطبقة اجتماعية وما إلى ذلك.
- التركيز على العناصر الأساسية للكلام^(٥).

وهناك ثلاثة مستويات للاستماع وهي:-

أ. الإنصات بالتمعن:

(٢) جواهر البلاغة، أحمد السيد الهاشمي، ص ٤١.
(١٨) حديث الوائين، عبد الحكم حسن صالح، دار الطلائع، القاهرة، د.ت، ص ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩.
(٢) الإنصات فهم ما وراء الكلمات، مادلين بيرلي ألين، ترجمة هالة صدقي، مركز الخبرات المهنية للإدارة (بميك) القاهرة، ط ١، عام ٢٠٠١ م، ص ٢٧.

في هذا المستوى يمتنع الأفراد عن إصدار أي أحكام بشأن المتحدث بل يضعون أنفسهم في موقفه ويحاولون رؤية الأشياء من خلال وجهة نظره لدرجة الإغراق في الإنصات والاستجابة التلقائية لكل ما يسمع وقد كان أصحاب رسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا المستوى لأنه إذا تكلم (كأن على رؤوسهم الطير) (٢٠)، كناية عن الهدوء والانتباه وعدم المقاطعة أو التشاغل ولأنه من أدب الإسلام الإقبال على محدثك بكلياتك.

ب. السماع:

وهو درجة أقل من الاستماع، والأفراد فيه يظنون على هامش الموضوع أو يقفون عند القشرة الخارجية للفحوى والمضمون، فهم يحاولون سماع ما يقوله المتحدث ولكنهم لا يبذلون جهداً كبيراً في فهمه، فهم منفصلون نفسياً واجتماعياً عن جو المناقشة وهذا ما يوقعهم في سوء الفهم لضعف تركيزهم الاستماع وقد يتسلل شعور زائف إلى المتحدث أن المستمع ينصت جيداً (٢١).

الإنصات لفترات قصيرة وغير متصلة:

والفرد المستمع في هذه الحالة ينصت لما يريد سماعه ويبعد عن مسامعه ما لا يرغب في سماعه فهو يتابع الحديث تحيئاً للفرصة كي يتحدث هو. هذا النوع من الأشخاص يكون هادئاً عند استماعه وغير متجاوب يصيغ أحكاماً داخل نفسه ويعد ما سوف يقوله هو فيما بعد (٢٢).

وكثير منا يمر بثلاثة المستويات المذكورة خلال اليوم الواحد ويبقى الهدف الرئيسي هو تحقيق المستوى الأول من الإنصات (التقصص).

ج / العلاقة بين المتحدث والمستمع:

وتعد عنصراً مقامياً مهماً لما تجسده من النفاعل والتجاوب أو التناظر والتشاغل، ولغة الجسد في هذه العلاقة هي القناة التي تعكس التغذية الراجعة للمتحدث والتي على ضوءها يمكنه أن يُعدّل في طريقة أدائه، وإشاراته، وتعابير وجهه، ونبرات صوته، وتغنيم كلامه وطريقة نظراته للسامعين، وعدم التركيز على جانب دون الآخر، ونوع الابتسامة التي يرسمها على وجهه (٢٣).

وفي ضوء هذه العلاقة ينبغي للمتحدث أن يكون ملماً بمستويات السامعين التعليمية والثقافية، ونوعهم ذكوراً وإناثاً، وأعمالهم التي يمتنونها ومستوياتهم المادية، وتدينهم، وجهاتهم الجغرافية واتجاهاتهم وميولهم. وكل هذا مما يعين المتحدث على النجاح في توصيل رسالته، وعلى المتحدث في هذا الصدد أن يدرك تمام الإدراك أنه ليس مصدر المعرفة وأن السامعين ليسوا أوعية فارغة لاستقبال المعرفة جامدة، وليعلم أنه مشغل

(٢٠) جواهر البلاغة، أحمد السيد الهاشمي، ص ٤١.

(٢١) حديث اللواتين، عبد الحكم حسن صالح، دار الطلائع، القاهرة، د.ت، ص ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩.

(٢٢) الإنصات فهم ما وراء الكلمات، مادلين بيرلي ألين، ترجمة هالة صدقي، مركز الخبرات المهنية للإدارة (بميك) القاهرة، ط ١، عام ٢٠٠١م، ص ٢٧.

(٢٣) الفائق في غريب الحديث، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان، ط ٣، عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ١١، ١٢.

للمعلومات^(٢١)، أو مصحح للذواكر ربطاً وتذكيراً وتوجيهاً واستمالة وتدرجاً وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً نبيه (صلى الله عليه وسلم): M ± ° 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 L^(٢٢).

د / المكان وما فيه ومن فيه والزمان:

يعد عنصر المكان والزمان وما فيهما وما ينطويان عليه وما يلابسهما من أهم عناصر السياق أو المقام لأن نوعية المكان وطريقة الجلوس فيه، وطريقة التهوية والإضاءة^(٢٣)، وما يلابس ذلك من الضوضاء والإزعاج من الأماكن المجاورة له أثر كبير في الاستماع للحديث أو الانصراف عنه أو الانشغال بما يلابس المكان، وكذلك عنصر الزمان، لأن الزمن هو حيز الحركة والتفاعل، وعمر الأشياء وقدر الإنجاز، وجدول الأعمال، وغاية الأحداث، وكتاب الآجال، ولذا كانت مراعاته مهمة في أداء الحديث وبلوغ غاياته وفق حدود مرسومة، ولذا فالوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، فالزمن عمر الكائنات بما فيها الإنسان وتجاربه وخبراته، حركة في إطاره محسوبة له أو عليه وقد قال الشاعر في هذا الصدد:

دقات قلب المرء قاتلة له إن الحياة دقائق وثواني^(٢٤)

وأيضاً قال الآخر:

تلك السنون الغاربات ورائي سفر كتبت حروفه بدمائي

ما عشتها لأعدها بل عشتها لتبين في سيمائها سيمائي

أداء الحديث أو الكلام:

يسمى أداء الحديث (الكلام) تقديماً كما يسمى إلقاءً، ويعنى به طريقة توصيل الرسالة الكلامية التي تبدأ بمتحدث (مرسل) وتجري خلال علاقة قوامها اللغة والثقافة والعرف في حيز من المكان وفترة من الزمان مع ما يلابس ذلك من الأشياء والشخص.

وعمد الإلقاء أو التقديم للرسالة الكلامية هو طريقة تقديم الأفكار، أو المفاهيم، أو الموضوع جهداً بلفظ منطوق، وهو في صورته النهائية فن يعتمد على أسس معرفية ذات شأن كبير في تحقيق هذه الفنية التي تعتمد على ما يلي :

المعرفة النظرية :

المعرفة النظرية للموضوع والقدرة اللغوية التي تعدل قدر الموضوع وقدر السامعين وفي هذا الجانب ينبغي أن نشير إلى أن المعلم والمحاضر والإذاعي والخطيب والواعظ ومن أدى دور المتكلم والمعلم والإعلامي لا بد له من معرفة عميقة في المادة أو الموضوع^(٢٥)، وقدرة لغوية معيرة تعادل الموضوع والسامعين ثم شخصية تفرض وجودها المؤثر في تفعيل المعرفة وتشغيلها تفهيماً وإفهاماً، وتعليماً وإعلاماً وحفزاً وإقناعاً.

الكفاءة في التقديم:

(٢١) الإنصات فهم ما وراء الكلمات، مادلين بيرلي ألين، الإنصات فهم ما وراء الكلمات، مرجع سابق، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢٢) المرجع السابق نفسه، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢٣) سحر التواصل مع الآخرين وتحقيق النجاح، هند رشدي، العالمية للكتب والنشر، القاهرة، ط ١، عام ٢٠١٠، ص ٣١ ، ٥٤ .

(٢٤) حديث الواقفين، عبد الحكم حسن صالح، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(٢٥) سورة الغاشية، الآية ٢١ .

وهذه تحصل بعد تجارب من المحو والإثبات، والتجريب، والاختبار والمدارسة والتدريب والمران لأن الحديث فن يكون بملكة تحدث بالدربة والمران (٢٩).

صور الإلقاء وأنماطه:

للإلقاء صور وأنماط متعددة بحسب حال الخطاب ومقام المقال وكل منها في حاجة إلى خبرة، ودراية، ومن تلك الصور والأنماط ما يلي:

الإلقاء أو التقديم من مادة مكتوبة:

وهو أسهل صور الإلقاء ومع ذلك لا يخلو من صعوبة لا يدركها بعض المتحدثين، فهو لا يعني سرد الكلام سرداً يؤدي إلى ملل المتلقين وعدم ارتياحهم، وهو بحاجة إلى خبرة ودربة في التعامل مع المادة المكتوبة، فلا يصح للمتحدث في هذا النمط الانكفاء على أوراقه من غير إدراك لمعاني موضوعه، ولا تلوين لكلامه بالنغمة الصوتية المناسبة، وحال المتكلم حينئذ كحال تلميذ في فصول الدراسة يطالع درسه أمام معلم غير واع بضوابط الإلقاء الجيد.

الإلقاء من مادة معنصرة:

يعتمد المتحدث في هذا النمط من الإلقاء على كتابة عناصر الموضوع في قصاصات ورقية يعود إليها بين الفينة والأخرى لضمان استمرار الأداء في تسلسل وتراتب فهو إلقاء يجمع بين الكتابة والارتجال، وهو الآخر يحتاج إلى لباقة، ودربة كافية بحيث يراوح المتحدث بين المكتوب والارتجال في صورة متوازنة فلا ينصرف إلى قصاصاته إلا بحساب.

الإلقاء القائم على الارتجال:

وهو تقديم الكلام أو الحديث من غير اعتماد على مادة مكتوبة أو معنصرة وهو نوعان: ارتجال مفاجئ من غير سابق إعداد وترتيب للمادة في ذهن المتحدث، وهذا أرقى أنواع الارتجال لما فيه من حضور البديهة وحسن التصرف، وتشغيل المعلومات السابقة، وتفعيل الذاكرة، وهو دليل القوة والسيطرة على أدوات الإلقاء من بناء صحيح للكلام، وطلاء صاقل له. هذا النوع من الارتجال صعب المراس نادر الحدث في زماننا هذا. والنوع الثاني من الارتجال هو الارتجال المتوقع، وفي هذا النوع فرصة للمتحدث لأن يفكر في الموضوع ويجمع مادته في ذهنه ويختزنها إلى حين وقت الأداء، هذا النوع يسمى ارتجالاً من الذاكرة بتبسيطها وتفعيلها بحذق ومهارة، وليس من الارتجال في شئ سرد مادة محفوظة بنصها وحرفها، لأنها تأتي خالية من أعمال الفكر ومحرومة من ضوابط الإلقاء الجيد أو المقبول، وهذا شأن الناشئة غير المؤهلين لهذا النمط من الأداء.

حواشي الإلقاء وأفئانه:

للإلقاء أو التقديم حواشٍ تزيينه وأفئان تجعله مستويًا على سوقه يجذب السامعين ويستولى على عقولهم وقلوبهم. هذه الحواشي وتلك الأفئان عبارة عن القدرة على الأداء الفني للصوت اللغوي (٣٠) من حيث:

(٢٩) حديث الواثقين، عبد الحكم حسن صالح، مرجع سابق، ص ٥٢.
(١) الشوقيات، أحمد شوقي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، د. ت. ٢٣، ص ١٩١.

• النبر (Stress) ويعنى به نطق مقطع من الكلمة بصورة أجلي وأوضح من بقية المقاطع طبقاً للنظام المقطعي للغة المعنية، وهذا يفيد في الإرشاد إلى نوع الكلمة وجنسها كما يفيد في التفريق بين مستوى من الكلام ومستوى آخر. والنبرات تختلف من متحدث لآخر فهناك نبرة هادئة ونبرة عالية كما أن هناك نبرة ساخرة وأخرى رفيقة، وثالثة حزينة وهكذا.

• التنغيم (Intonation) و يعنى به موسيقى الكلام أى تلوينه بنغمات تتمثل في ارتفاع وانخفاض يكسو المنطوق كله، وهو خاصة صوتية ذات أهمية بالغة في الإتيان بالكلام مطابقاً لمقامه وحاله، فموسيقى الكلام المادح تختلف عن موسيقى الكلام القادح، ونغمات التعجب تختلف من عن نغمات الرضا والارتياح، وللتنغيم دور كبير في التحليل النحوي للكلام، فلإثبات ألوان، وللنفي ألوان أخرى، ولأساليب التعجب والإغراء والتحذير ألوان موسيقية خاصة، ولما كانت النغمات التي تكسو الكلام كثيرة لا تتحصر، اكتفى الدارسون بتحديد نغمتين رئيسيتين على نهايات الجمل هما^(٣١):

النغمة النازلة أو المستقلة: وهي دليل على حال الجملة مبنى ومعنى في الإثبات، النغمة الصاعدة أو المستعلية: وهي دليل الاستفهام وعدم تمام الكلام.

الفواصل الصوتية: ويقصد بها ما يتخلل الحديث أو الإلقاء من وقفة أو سكتة، أو استراحة أو تعديل نفس^(٣٢). فالوقفة تكون عند تمام الكلام مبنى ومعنى، ويرمز لها في الكلام المكتوب بالنقطة (.) .

أما السكتة فهي أخف من الوقفة وأدنى منها زمناً وتعني مجرد تغيير مسيرة النطق بتغيير نغماته للدلالة على أن سابقها ذو ارتباط شديد بما يخلفها وتحبها نغمة صاعدة، وأوضح دليل عليها ما يحدث بين طرفي الجملة الشرطية: الشرط والجواب، وبعد القول وحكايته، ويرمز لها في الكتابة بالفاصلة (،).

والاستراحة مجرد وسيلة صوتية لمنح الكلام خاصية الاستمرار، أو هي فرصة لمجرد أخذ نفس، ولا بد في نهاية هذه الحواشي والأفنان من الإشارة إلى ضرورة أن يكون المتحدث على دراية بضوابط الابتداء والوصل والوقف و بما يصحب ذلك من تعديلات صوتية وصرفية في عناصر الكلام ولبناته.

الأحاديث المعرفية: يعنى بها تلك الأحاديث التي توجه إلى الجماهير خاصة أو عامة، بقصد التعريف أو التعليم أو التوجيه أو عرض الحقائق أو زيادة المعرفة. هذه الأحاديث تجسد صوراً من صور الكلام الشفوي المنطوق ذي الأهداف التعليمية أو التنويرية أو التوجيهية.

هذا النوع من الأحاديث لا بد أن يتصف بصفات محددة تدرج تحت الموضوعية. تلك الصفات من أهمها:

• الدقة.

• الوضوح.

• التشويق.

• بُعد النظر.

(٣١) حديث الواثقين، عبد الحكم حسن صالح، مرجع سابق، ص ٦٠، ٦١.

(٣٢) مقدمة ديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن خلدون، المشهورة بالمقدمة، دار الجيل، بيروت- لبنان، د.ت، ص ٦١٩.

هذه الأحاديث تصف الواقع كما هو، وتقدم الحقائق بذاتها لذاتها، ووظيفة هذا النوع من الأحاديث: الشرح، والتفسير، والإعلام، والتثقيف، والتنوير، وزيادة المعرفة، أو تعميقها والتركية تعليمياً للعلم والحكمة. ومن أهم صور أو أنماط الأحاديث المعرفية ما يلي:

المحاضرة: وهي مأخوذة من الحضور والمفاعلة التي تقع بين شخصين فأكثر وترتكز على الاستقرار مكاناً وزماناً، والانتباه الدال على الشهود قلباً وقالباً أي جسماً وعقلاً وهي نمط من الأحاديث المعرفية التي يتولاها ذوو الخبرة والدراية في مجال الاختصاص المعين. وهي الآن نوع من أنواع طرق التعليم المباشر خاصة في الجامعات والمعاهد العليا (٣١).

الندوة: مأخوذة من النداء والتنادي أي التداوي لحضور أمر مهم. وفي القرآن الكريم $L^{3/4} \frac{1}{2} M$ (٣٢)، وهي أيضاً نمط من أنماط الحديث المعرفي تهدف إلى التعليم أو التنوير أو الإعلام أو التوجيه. وفي غالب الأمر يكون فيها أكثر من متحدث في موضوع واحد يتناولونه من جوانب مختلفة، كما أن بها فرصاً للتغيب والإيضاح والمداخلة والاستفسار (٣٣).

الحوار: وهو نمط من أنماط الارتجال القائم على المفاعلة أخذاً وإعطاءً أو رداً وإفحاماً، وله طبيعة خاصة تحتاج إلى دراية ومعرفة بضوابطه وحدوده. يكون بين شخصين أو أكثر. وهو في العادة ينصرف إلى استكناه حقيقة أو الكشف عن أمر أو واقعة محددة. وهو في الأصل اللغوي مراجعة الكلام ورده، وأحاره الجواب رده عليه لمعرفة الحقيقة أو لقيام الحجة والبرهان (٣٤).

والحوار المنهجي مفيد في إيصال الفكرة للآخرين، وتدريب المحاور نفسه لأنه يرتقي بطريقة المتحاورين في التفكير والأداء، كما يدرّبهم على كبح جماحهم، وضبط نفوسهم وألسنتهم، كما يقوي لديهم ملكة المحاكمة والتفكير المتزن، ويفتح آفاقهم، ومداركهم، ولهذا عنى القرآن الكريم به عناية فائقة لأنه الطريق الأمثل للإقناع الذي ينبع من الأعماق، وقد ورد مصطلح (الحوار) ومشتقاته في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة منها قوله تعالى: $\text{أَفَقَالَ لَصَحِيحِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ}$ (٣٥)، ومنها أيضاً قوله تعالى: $M ! " \# \$ \% \& ' () * + , - .$ (٣٦).

المناظرة: في اللغة تعني المماثلة والمباحثة والمقابلة وأصل جذرها اللغوي النظر والتدبير والإمهال والتأخير (٣٧)، وعن المعنى اللغوي جاز المعنى الاصطلاحي الذي يعني المباحثة في أمر علمي بين نظيرين أو ندين أو مثيلين.

ومن شروطها:

-
- (١) سحر التواصل مع الآخرين وتحقيق النجاح، هند رشدي، مرجع سابق ص ٤٤، ٤٥، ٤٦.
 - (٣٤) سورة العلق الآية (١٧).
 - (٣٥) المعجم الوجيز، إبراهيم أنيس وآخرون، مؤلفات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم المصرية عام ١٤٣٦هـ - ٢٠٠٥م مادة (ندي) ص ٦٠٩.
 - (١) الحوار - الذات والآخر، عبد الستار الهيتي، كتاب الأمة العدد ٩٩، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر - الدوحة، ط ١، عام ١٤٢٥هـ - ص ٤٧، ٤٨.
 - (٢) سورة الكهف، الآية ٢٧.
 - (٣) سورة المجادلة الآية (١).
 - (٤) المعجم الوجيز، إبراهيم أنيس وآخرون، مرجع سابق، مادة (نظر) ص ٦٢٢، ٦٢٣.

- أن تقع بين خصمين متضادين أو متباينين في صفاتهما وأدائهما.
- أن يأتي كل من المتناظرين بأدلة تؤيد رأيه وتقوي حجته، وتحط من رأي خصمه وتدحض حجة نظيره بحيث يميل السامع عنه إليه.
- أن تصاغ المعاني والمراجعات صوغاً حسناً، وترتب على سياق محكم ليزيد بذلك انتباه السامع وتتمو فيه الرغبة لحل المشكل.

وقد كان السلف الصالح يسلكون هذا المنهج لأجل الحق والعلم مع الحفاظ على الود والصدق والإخلاص ومن ذلك ما ينسب للإمام الشافعي من أنه قال: ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ. وأيضاً قوله: ما ناظرت أحداً إلا ولم أبال أبين الله الحق على لسانه أو لساني (١). وفي ختام هذا البحث أرجو أن أورد ما توصلت إليه هذه الدراسة من النتائج وهي :

مهارة التكلم (الكلام) من أهم عناصر الاتصال اللغوي .
التكلم (الكلام) صناعة تحتاج للدربة والمران.
معرفة الدرس الصوتي والصرفي والنحوي والبلاغي مهمة جداً للارتقاء بالأداء الكلامي، توظيف معطيات البلاغة وعلم النفس مهمة جداً في جعل الأداء الكلامي مثيراً وجاذباً.
تلوين الصوت نبراً وتنغيماً ووقفاً ووصلاً، رفعاً وخفضاً ، رقة وشدّة اتساقاً مع المعاني والمضامين ذو أهمية كبرى في جذب المستمعين وإثارتهم للمتابعة.
جسر التواصل بين المتكلم والمستمعين كامن في تحديد الهدف من الحديث المعرفي ومدى أهميته لهم ومناسبتة لاهتمامهم وميولهم، توظيف لغة الجسد يكون تغذية راجعة في معرفة مدى انتباه المستمعين ومتابعتهم.

تقديم الأحاديث المعرفية (المحاضرات والندوات والحوارات والمناظرات) فن يحتاج للتدريب ويخضع للمران. الثقة بالنفس وامتلاك المادة العلمية وتقدير مشاعر المستمعين يعد ركيزة تقديم الأحاديث المعرفية. والدراسة تشير لأهمية الاستفادة من التوصيات التالية لكل من يمارس تقديم الأحاديث المعرفية.

الخاتمة:

والتوصيات هي:

- المعرفة والدقة واللفظ.
- الصدق والإخلاص.
- التواضع وعدم التعالي على السامعين.
- عدم الحكم على نيات الآخرين.
- الحكمة والصبر والحلم.
- الإنصاف والموضوعية.

(١) أخطاء في أدب المحادثة والمجالسة، محمد بن إبراهيم الحمد ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ، الرياض - السعودية ، ط ١ ، عام ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ٨٢ .

- مراعاة عواطف الآخرين ومشاعرهم.
- الابتعاد عن التهكم والسخرية.
- مراعاة عاملَي الوقت والمكان.
- الرجوع إلى الحق من أي جاء
- الابتعاد عن التشديق والتعصّب.

المراجع والمصادر:

القرآن الكريم .

- ١- المعجم الوجيز، إبراهيم أنيس وآخرون، مؤلفات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم المصرية عام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م مادة (نَدِي).
- ٢- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ط١، عام ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- ٣- الألفية، ابن مالك الجياني، دار السلام للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢ عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٣م.
- ٤- الفائق في غريب الحديث، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان ، ط٣ ، عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٥- رياض الصالحين، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، د.ت .
- ٦- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تبويب علي أبي ملح، دار مكتبة الهلال ، القاهرة ، ط١ ، عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ .
- ٧- جواهر البلاغة، أحمد السيد الهاشمي، ضبط يوسف العميلي، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت، ط١ ، عام ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣، مقدمة الضابط والمدقق .
- ٨- المسند، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر ، د.ت .
- ٩- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١ ، عام ١٩٨٧م ، مادة (حدث) .
- ١٠- الشوقيات، أحمد شوقي، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان، د.ت .
- ١١- ديوان الأخطل، الأخطل ، عناية انطوان صلحاني اليسوعي، دار المشرق، بيروت- لبنان، ط٢، د.ت.
- ١٢- شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملوي، المكتبة الثقافية، بيروت - لبنان، ط١، ١٣٧٣هـ.
- ١٣- شرح المعلمات السبع، القزويني، المكتبة التوفيقية القاهرة، ط١، د.ت، معلقة زهير بن أبي سلمى.
- ١٤- فن الخطابة، ديل كارنجي، دراسة منى محمد السعيد وتقديمها، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

- ١٥- مهارات الاتصال في اللغة العربية، سمر روجي الفيصل ، ومحمد جهاد جمل ، دار الكتاب الجامعي ، العين - الامارات العربية المتحدة ، ط١ ، عام ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
- ١٦- حديث الوائقين، عبد الحكم حسن صالح، دار الطلائع ، القاهرة ، د.ت .
- ١٧- مقدمة ديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن خلدون، المشهورة بالمقدمة، دار الجيل، بيروت-لبنان، د.ت .
- ١٨- الحوار - الذات والآخر، عبد الستار الهيتي ، كتاب الأمة العدد ٩٩ ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر - الدوحة ، ط١ ، عام ١٤٢٥هـ .
- ١٩- الإنصات فهم ما وراء الكلمات، مادلين بيرلي ألين ، ترجمة هالة صدقي ، مركز الخبرات المهنية للإدارة (بميك) القاهرة ، ط١ ، عام ٢٠٠١م .
- ٢٠- أخطاء في أدب المحادثة والمجالسة، محمد بن إبراهيم الحمد ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ، الرياض - السعودية ، ط١ ، عام ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- ٢١- علل اللسان وأمراض اللغة، محمد كشاش، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ط١، عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٢٢- سحر التواصل مع الآخرين وتحقيق النجاح هند رشدي، ، العالمية للكتب والنشر، القاهرة، ط١، عام ٢٠١٠م.